الغزالى وعلم النفس

الأستاذ حمدى الحسينى

— ٩ —

التحليل النفسى

التحليل النفسى طريقة عملية لمعرفة الرغبات المكبوتة فى اللاشعور، والعقد النفسية الناشئة عن هذا الكبت. وأول من فكر فى هذه الطريقة ووضع قواعدها ومصطلحاتها العالم النفسى العظيم — سيجمند فرويد — وقد تقدم التحليل النفسى فى السنين الأخيرة تقدما كان له أثر كبير فى علم النفس فتطور هذا العلم بواسطته تطوراً عظيم الأهمية بعيد الأثر ولاسيما من الناحية اللاشعورية. وتتلخص طريقة التحليل النفسى فى حمل المرء المراد تحليل نفسيته على أن يطلق لنفسه العنان فيدع أفكاره تأتى وتروح بدون أن يضبطها أو يراقبها وبهذا تكون أفكاره لا علاقة لها بالعالم الخارجى وتصبح حاله أشبه ما تكون بحالة المطرق فى حلم. ثم يطلب منه ألا يقاوم تلك الأحلام وما عليه إلا أن يقول كل ما يخطر بباله فيذكر أوهاما وعبارات مضطربة وألفاظا لا ارتباط بينها. بعضها عن حوادث بعيدة حصلت له فى الطفولة وبعضها حصل له فى بقية أدوار حياته الأخرى وأكثرها يتعلق بآلامه وآماله وبكل ما هو مؤثر فى نفسه وسلوكه

ويجب على المحلل أن يكون شديد العطف على المريض فيعينه على البحث فى قرارة نفسه حتى يصل به إلى حادثة أو فكرة معينة يتخذها كمفتاح يفتح به اللاشعور فيتوصل بها إلى معرفة سبب الاضطراب فى السلوك والأعصاب. ومتى بلغ المحلل هذه النقطة أمكنه أن يعرف كل شئ. فالتحليل النفسى إذاً مفتاح اللاشعور والغاية منه معرفة سبب الاضطراب فى السلوك والأعصاب. ونحن نرى من الحق أن نبسط هذا الموضوع بعض البسط حرصاً على الفائدة وتوطئة لفهم ما عند الغزالى فى هذا الموضوع فنقول

عندما اصطدم الإنسان بالمجتمع وما فيه من قيود انكبتت رغباته وميوله انكباتاً سبب له كثيراً من الأمراض النفسية والعصبية فخلقت هذه الأمراض النفسية والعصبية للمريض جحيما مستقرا لا تنطفئ ناره ولا تخمد أواره. والذى يؤسف له حقا هو أن أكثرية البشر مريضة نفسيا أو عصبيا. أو نفسيا وعصبيا معاً وإن اختلفت هذه الأمراض قوة وضعفاً وضوحاً وغموضاً وقد مضى على البشر القرون الطويلة وهم يتقلبون فى جحيم من الأمراض وهم لا يشعرون ولكن لم تخف هذه الحقيقة المؤلمة على أهل الفكر من أبناء الأجيال الماضية .. فقد عرفوا هذه الحقيقة لأنهم اكتووا بنارها ولكنهم حاروا فى سرها وضلوا الطريق إلى فهم كنهها وحقيقة أمرها وأخذوا يتخبطون فى هذا الأمر تخبط العشواء فى الظلام لا يخرجون من ظلمة حالكة إلا ليتردوا فى هوة أشد حلكة حتى ألهم الله — فرويد — بدراسة العقل الباطن وما فى هذا العقل العجيب من عواطف مكبوتة ورغبات متصادمة متلاطمة وعقد مبرمة محكمة ومركبات معتدمة مضطربة فاهتدى إلى حل هذه المشكلة النفسية بطريقة التحليل التى أشرنا إليها فى صدر هذا المقال ونحن نعتقد أن الإنسانية تنتفع عظيم الانتفاع بطريقة فرويد — فى التحليل النفسى متى دخل علم النفس التحليلى البيوت والمدارس والمصانع والمزارع وعمت العيادات والمستشفيات النفسية المدن والقرى. نقول هذه وأملنا كبير بتحقيق هذا الأمنية لأننا رأينا المدى الواسع الذى قطعه علم النفس التحليلى فى الغرب خلال نصف قرن ذلك المدى الذى يبشرنا بقرب انتشار هذا العلم الجليل فى الشرق فينتفع به الشرقيون عامة ويصبح الشرقى وقد نعود أن يذهب إلى العيادة النفسية لمعالجة الملوف والخجل كما يعالج السل والسرطان. ولا يفوتنا أن نذكر هنا شيئاً جليل الخطر فى موضوع التحليل النفسى وهو أن خطورة العقدة النفسية وخطرها فى خفائها وعدم الشعور بها، فإذا ما عرفت العقدة وأصبح صاحبها شاعراً بها انحلت وبطل سحرها. ومتى انحلت العقدة انتهى السلوك الشاذ الذى كان متسبباً عنها وهذا ما يرمى إليه التحليل النفسى ويعمل لأجله المحللون النفسيون.

ولندع الآن الإمام العلامة أبا حامد الغزالى يتحدث عن

التحليل النفسي والطريق الذي يعرف به المرء عيوب نفسه . يقول أبو حامد الغزالي .

إذا أراد الله بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه ، فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه ، فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج . ولكن أكثر الناس جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عينه ، فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق

الأول . أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته

الثاني . أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً فينصبه رقيباً على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنية والظاهرية ينبهه عليه

الثالث . أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه

الرابع . أن يخالط الناس، فكل ما رآه مذموما فليطالب نفسه به ويفتشه إليه فإن المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها من كل ما يذمه غيره

هذه طرق الغزالي الأربع في التحليل النفسي . فالطريقة الأولى قريبة جدا من طريقة علم النفس الحديث ونرى ذلك واضحاً عندما نقابل ما يقضي به العلم الحديث من الإنسان حول المراد تحليل نفسيته على أن يطلق العنان لأفكاره أمام المحلل وبين يدي شيخ بصير بعيوب النفس ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته فيعرفه ذلك الشيخ عيوب نفسه وطريق علاجها. والطريقة الثانية هي الاستعانة بالصديق في معرفة العيوب وهذه الطريقة شبيهة بالأولى من حيث أنها استعانة بالغير في التحليل . إلا أن الأولى تحليل بواسطة اختصاصي (شيخ بصير بعيوب النفس) — والثانية تحليل بواسطة صديق بصير في المراقبة دقيق في الملاحظة . وأما الثالثة والرابعة فهما طريقتان للتحليل الذاتي والتأمل الباطني وطريقة التحليل الذاتي أفضل طرق التحليل لذوي البصائر النيرة والعقول الراجحة .

ومن حق الغزالي علينا أن نذكر له معرفته بسر العقدة النفسية وإدراكه أن خفاء العقدة عن صاحبها هو السبب الذي يجعل حلها صعباً وشفاءها في بعض الأحوال مستحيلاً وإدراكه أيضاً أن معرفة العقدة والشعور بها يسبب حلها والتخلص من شرها . يقول — فمن تكون بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج . ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم . ثم يقول في موضع آخر : إن من الأمراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض النفس مما لا يعرفه صاحبه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه

ولنسمع الآن ما عند الغزالي من طرق المعالجة النفسية يقول: — ينظر في الداء فإذا كان البخل مثلا فعلاجه بذل المال . ولكن قد يبذل المال إلى حد يصير تبذيراً ، فيكون التبذير أيضاً داء ، فالمطلوب إذن هو الاعتدال ، وهذا الاعتدال الذي يذكره الغزالي هو السلوك السوي الذي يعمل للحصول عليه التحليل النفسي لرد هؤلاء الشاذين في سلوكهم إليه. ولم تغفل بصيرة الغزالي اليقظة عن الصعوبة في ردا الشاذ إلى السلوك السوي من السلوك. يقول — الوسط الحقيق بين الطرفين في غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف . وقلما ينفك الإنسان عن ميل عن الصراط المستقيم أعني الوسط حتى لا يميل إلى أحد الجانبين .

وسنتحدث في مقالنا القادم عن السلوك في نظر الغزالي إن شاء الله

محمد الحسيني

مصلحة الجمارك

تعلن فقد القسيمة البيضاء رقم ٥٦٥ من الدفتر رقم ٣٧ ك م مجموعة ١٦٧ وقد اعتبرت المصلحة هذه القسيمة ملغاة فكل من يحاول استعمالها يعرض نفسه للعقوبة الجنائية . ٦٧٦٣